

(رِيُّ الصَّدِيَّانِ فِي رِثَاءِ سَمَاحَةِ الْعَلَّامَةِ بْنِ غُدَيَّانَ عَلَيْهِ شَآئِبُ الرَّحْمَةِ
وَالرُّضْوَانِ)

هذه محاولةٌ قد يُجانبني في بعضِها أو كُلِّها الصوابُ ، ولكنَّ
عُذْرَ صاحبِها أنَّه حاملُها محمَلُ كَلامِ المُصابِ عندَ صدمتهِ الأولى
، فحَسُنُ مِنْ أَحْوَالِهِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِغَيْرِ السُّوءِ .
وللشيخِ رحمهُ اللهُ عَلَيَّ يَدٌ يَكْفِيهِ اللهُ عَلَيْهَا مِثْلَةً فِي تَبْسُطِهِ
وَحُنُوِّهِ عَلَيَّ وَبَذَلِهِ لِلنَّصِيحَةِ حَتَّى رَأَيْتُ فِيهِ أَبًا وَأُمًَّ وَجَدَّيْنِ وَمُعَلِّمًا
، وَكَانَ طَهُورًا لِعَيْنِي مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبَرِ الَّتِي يَسْتَمْلِحُهَا بَعْضُ الْمَسَاكِينِ
عَلَى قَلَّةِ بَضَاعَتِهِمْ أَوْ كِسَادِهَا إِنْ وُجِدَتْ فَمَا إِنْ يَعُودُ طَرْفِي حَسِيرًا
مِنَ الشُّخُوصِ لِأَوْلَيْكَ حَتَّى أَجِدَ فِي الشَّيْخِ مُغْتَسِلًا بَارِدًا طَهُورًا لِعَيْنِي
وَشَرَابًا تَرْتَوِي مِنْهُ الرُّوحَ رِيًّا لَا تَظْمَأُ مَعَهُ إِلَى أَوْلَيْكَ .
وَكَمْ مَرَّةً تَمَثَّلْتُ فِيهَا قَوْلَ ابْنِ الرَّومِيِّ :

عَذَرْنَا النَّخْلَ فِي إِبْدَاءِ شَوْكَ * * يَرُدُّ بِهِ الْأَنَامِلَ عَنِ جَنَاهُ

فَمَا لِلْعَوْسَجِ الْمَلْعُونِ أَبْدَى * * لَنَا شَوْكًا بَلَا ثَمَرَ نَرَاهُ

ثُمَّ أَجِدُ فِي مَعَايِنَةِ حَالِ الشَّيْخِ وَتَرْبِيَتِهِ لِقُصَّادَهُ غِنًى عَنِ بَيْتِي ابْنِ
الرُّومِيِّ هَذِينَ .

ومن جرَّبَ عقدةَ المصابِ للألسنِ علمَ أن لا ملامَ على من تكلمَ
بأحسنِ ما يجدُ ما لم يقلِ جزعاً.

أسى عمَّ أنحاءَ الجديدينِ وبله
وطوف في مستقبلِ الدهرِ فضله
وبات إليه كلُّ مرٍّ أسغته
كخيطةٍ إلى نسجٍ تناسقَ غزله
أنوء به حملاً فيجعلُ مهجتي
مطيتهُ ، والصبرُ شئتَ شله
له شررٌ يرمي ليالي غيلةً
ويرشُقُ أيامي البواقي نبله
يُجودُ على عيني ابتداءً بسُهدها
وبالهمِّ والأشجانِ يَحْتَمُ بذله
ويمنعُ أطرافَ السُّلُوِّ مسارها
إليَّ ، فيُقصيها بما هو أهله
ويحدو أليمَ القاضياتِ فتنشي
وتنشطُ في الإيغالِ صوبي إبله
هناك يَخورُ العزمُ غيرَ مؤمِّلِ
وبي ألم (لا ينقضي الدهرَ جزله)
فهل للأسى أن يستبينَ من الذي
أصابَ سويداءَ الفؤادِ محلله

هو (ابنُ غُدَيَّانَ) الذي زفرُ أضلعي

أخو العلمِ ، صنوُ الحلمِ ، عدلُهما ومن

ومن لأصولِ الفقهِ فيه مثابةٌ

يفيئُ إليه الزُّهدُ يطلبُ شأوه

ومنه يفِرُّ العُجبُ حاملَ خيبةٍ

به هَمَّتِ الدُّنيا تُغَلِّقُ بابَها

تُراودهُ عن نفسِهِ بزخارفِ

فقال: معاذَ اللهِ! ما همَّ بالذي

تعالى ولم تأسرهُ ألقابهُ ، فلم

يرى النَّاسَ كلَّ النَّاسِ أبناءَ عِلَّةٍ

حيناً إليه ينفحُ الدَّمعَ سجُّلهُ

على الفقه والتحرير قد شدَّ أصلهُ

وأمنٌ ، ومن ذلَّت لباغيةٍ سُبُّه

ففيه مبيتُ الزُّهدِ فيه مظنُّه

هزيباً على قوسٍ وما ريشَ نصلهُ

شغوفاً ولوعاً شفَّها منه دُلَّه

وتبدي له ما لا يقلُّ أقلُّه

تمُّ به ، فالعُجُ لا يستزلُّه

يكن بالذي يعلو على النَّاسِ مثلهُ

يوطئُ أكنافاً لمن يستدلُّه

ولم يلهله أهل الدثور ، ذوا النهى

ولا عن ضعيف في العلوم مبرز

كأنهم الأيتام في حجر كافل

أخو حكمة يعطي أخا الحق حقه

يحار حراء فيه عند ثباته

يدود عن الدين الحنيف مجاهداً

فبالهاتف السيار يقطع فدفداً

يشيد بأوربا صروح هداية

وفي داخل السودان كانت دروسه

وفي مسجد الله الحرام لنفسه

عن الأشعث المدفوع صرم حبله

ولا عن عيي من ترصع قوله

ويشملهم منه الحنور وبذله

ويبسم في سود الدجنات عقله

وسيف الهدى في كفه آن سلته

وكل بلاد الله كانت مدى له

من الأرض كالغيث المؤمل هطله

ويبدل علماء من تأصل جهله

غيوثاً على أرض بها اخضر سهله

عكوف على التعليم ليس يملته

فيا من تعالى أن تضيع ودائع

يودّعها ، سبحانه ما أجله

غدا الشيخ يا ربي نزيل جواركم

وعقد أساناً بعد أعجز حله

فأكرمه بالرضوان منك وحله

بجلية من زكاه عندك فعله

فقال به منك اقتراباً ورحمة

وأسدى عليه الأمن عرش يظله

وصل على خير البرية ما سرت

بروق ، وما افتتر السحاب ووبله